بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة - 6 -

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:-

فلا زلنا في المرحلة الثانية في التقسيم الذي اخترته في بداية حياة الحبيب صلّى الله تعالى عليه وسلّم وآله وصحبه أجمعين، وبداية الإعلان عن نبوته، وهي المرحلة التي سبقت الإعلان عن بعثته بستة أشهر تقريبًا، وتنتهي ببدايات أوائل ما نزل من القرآن الكريم، بعد نزول الآيات الخمس من سورة العلق.

سمّيتُ هذه اللقاءات بالمحاورات، وكنت أودّ المشاركة منكم وأسمع منكم، لكنَّ أدبكم الرفيع - زادكم الله سبحانه - أدبًا ربّما يمنعكم، ولكنْ أودّ أنْ تحقّقوا لي هذا الرجاء بعد الانتهاء من هذه المحاورات.

في هذه المرحلة وإنْ كان زمانها قصيرًا، لكنْ فيها هدايات كثيرة وجليلة وعظيمة، منها مثلاً:-

سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، لمّا جاءه سيّدنا جبريل عليه السلام، لم يفصح له عن هويته، فلماذا؟ لماذا لم يقل إنَّي جبريل؟ وقد تأمّلت في هذا، لم يرد أنّه قال له: أنا جبريل، وأنت رسولُ الله، حسب ما اطلعتُ، والجواب الذي في قلبي أنَّ المراتب الروحانية في التأكيد على قدسيتها وأهميتها، أمر لابُدَّ أنْ يأتي بالتدرّج، إنسان أزعجته الظروف التي يحياها في مكّة المكرمة، خرج وتركها، وصعد إلى الغار في الجبل، مباشرة يأتيه سيّدنا جبريل عليه السلام، ويقول له: أنا جبريل، قد لا يتحمّل هذا الأمر،

وخاصّة في ذلك العصر.

أنت الآن مسلم -والحمد لله- وبفضل الإسلام تعرف الكثير عن سيّدنا جبريل عليه السلام، لكنْ في ذلك الوقت، مَنْ يعرف عن سيّدنا جبريل عليه السلام شيئًا إلّا اللهمَّ أهل الكتاب، وهؤلاء قد نزعت منهم الأمانة العلمية، فأخبارهم لا تصدَّق ولا تكذَّب، كما قال الحبيب عليه أفضل صلاة وأتمّ سلام وآله صحبه الكرام:-

(لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ ولا تُكَذِّبُوهُمْ، وقُولوا: {آمَنَّا باللَّهِ وما أُنْزِلَ إِلَيْنَا ---} الآيَةَ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

وهذا بعد تشرّف البشرية بالإسلام، وثقافة روحية بثّت في الأُمّة، هكذا قيل عن أهل الكتاب، فكيف قبل ذلك.

نستفيد من هذا أنَّ المراتب الروحية لا يكشف عنها إلا بالتدرّج، يقول البعض:- لماذا عندنا بالطريقة، مُجاز بفتح ختم شريف؟ أو مُجاز بفتح ختم شريف، وقبول السالكين؟ أو مَنْ هو مُجاز بالخلافة؟ وهذه تجْمَعُهَا كلّها، فالمُجاز بالخلافة عنده جزئية جدًّ صغيرة من وظائف المرشد، لكنَّه ليس مرشدًا، عنده نوع من خصائص الإرشاد، هذا النوع هو التوجّه عن قُرْبٍ وبُعْدٍ، لكنْ التوجّه المحدود جدًّا، إمّا لشخص أو شخصين، وغالبًا ما يكون عن قُرْبٍ، أمّا عن بُعْدٍ فالخليفة لا يستطيع أنْ يتوجّه، هذه المراتب الروحية، فلا يمكن للمرشد أنْ يبلغ عنده أحد مريديه مرتبة الإرشاد، فيأتي ويقول له مباشرة: أنت أصبحت مرشدًا، قد لا ينجح في هذا الابتلاء والاختبار؛ لأنَّ التدرّج سنّة الله تعالى في خلقه، أيَّ شيءٍ تأخذه تجد فيه التدرّج.

الكثير من أهل العلم رضي الله تعالى عنهم وعنكم، قالوا: إنَّ الله تبارك اسمه قادر أنْ يخلق السماوات والأرض في لحظة، وهذا حقّ، لكنْ لماذا خلقها في ستة أيّام؟

ذاك لأنَّ التدرّج، قانون الله عزّ وجلّ في الكون، يعلّمنا التدرج، يعلّمنا التَّؤُدَة، وأنَّ الأمور لابُدَّ أنْ تنبني مفاصلها وأركانها، ركناً بعد ركن، حتى القرآن الكريم نزل بالتدرّج، والكفّار قالوا: لماذا لم ينزل جملة واحدة؟ والله جلّ وعلا بيّن الحكمة في ذلك فقال عزّ شأنه:-

{كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ ترتيلا} [سورة الفرقان: 32].

الأحكام إذا جاءت كلّها في يوم واحد، النّاس يعجزون عن الالتزام بها، فهذا جواب لما يدور في خَلَد بعض الأحباب، أنَّه لماذا عندنا في المنهج هذه المراتب؟ لماذا ذكرها السادة المرشدون رضي الله تعالى عنهم؟ أين أدلّتها من الكتاب الكريم والسنّة العطرة؟

يا أيّها الكرام الكثير من الأحكام أدلتها من عموميات الكتاب العزيز والسنّة النبويّة المطهّرة، ليس شرطاً أنَّ الموضوع الذي تسأل عنه يأتيك فيه نصٌّ بالاسم، فهذا يعني أنَّ القرآن الكريم لابُدَّ أنْ يكون ثلاثة ملايين جزء حتى يغطي هذه الأمور.

لكن القرآن الكريم أعطاك مولّدات أحكام، كما قال سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، مصادر الشريعة فيها مولّدات أحكام، فكلّما اقتضت الحاجة عند المكلّف إلى حكم، فسيجد أنَّ القرآن الكريم، أو السنّة النبويّة الشريفة، أو القواعد الموجودة تولّد له هذا الحكم.

وقد تذكرت الآن قصّة واقعية:-

أحد الدعاة كان في الغرب، فجاءه أحد محاربي الإسلام بسؤال، وظنّ أنَّه سيعجزه به وينتصر عليه وتسقط دعوته، فقال له: أنتم تقولون: إنَّ القرآن الكريم فيه كلّ شيء؟ قال الداعية: نعم، فقال: إذاً كيس الطحين، كم رغيف خبز نصنع منه؟ أعطني آية من القرآن، فقال: أعطني مجالا أفكّر وأجيب، مباشرةً حمل الهاتف

واتصل بالخبّاز، وسأله كيس الطحين كم رغيف خبز ينتج؟ قال: كذا، فأجابه، فقال: أين الآية، فقال إنَّ الله جلّ جلاله يقول:-

{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [سورة النحل: 43]

وأنا سألتُ أهل الذكر في هذا الشأن، وأهل الذكر في سؤالك (الخبّازون).

انظر إلى الحكمة، فعلاً مولدات أحكام، فالبعض يقولون: من أين أتوا بهذا الكلام؟ هذا مُجاز بفتح الختم الشريف، وبعد ذلك أُجيز بفتح ختم شريف وقبول السالكين، وبعدها أُجيز بالخلافة، وبعدها بالإرشاد، وهذه المراحل قد مررتُ بها، فسيّدي حضرة الشيخ قُدِّسَ سرّه، أوّل ما أجازني بفتح ختم، بعد فترة: بقبول السالكين نيابة عنه، وبعدها أجازني بالخلافة، والخلافة تُكتب، وبعدها بالإرشاد.

فليس منسجما مع سنّة التدرّج في قدر الله تبارك تعالى، وفي حكم الله عزَّ وجلّ في هذا الكون، أنْ يقول له مباشرة: أنا جبريل وأنت رسول الله، فالمكلّف قد لا يحافظ على توازنه، وهذا الكلام لا نقوله على سيّدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام -نعوذ بالله تعالى- لكنْ هذا تقدير الله عزَّ وجلّ.

فأضرب لكم مثالًا بدون ذكر الاسم؛ لمكانة صاحب الاسم، وذاته الشريفة، وقلت لكم أنا لا أروي إلّا سماعاً من سيّدي حضرة الشيخ عبد الله قُدِّسَ سرّه، وعندي أخبار من غير هذا كثيرة، ولكنْ لا أذكرها، أذكر ما سمعت، وفيما سمعت كفاية لأمّة الإسلام إنْ أرادت أنْ تتفقّه، وتلتزم بما قاله سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، وأنا أعتقد يقينًا جازمًا لا شُبْهَةَ فيه أنَّ سيّدي حضرة الشيخ عبد الله قُدِّسَ سرّه كان مجدّدًا.

قال حضرته رضي الله تعالى عنه:-

أحد السالكين بلغ عندي مرتبة الإرشاد، وبعض الإشارات وَصَلَتْهُ أنَّه سيُصبح

مرشداً، فأخذ هذه الإشارات كأنّها نصوص واضحة قطعية لا تقبل الاجتهاد، لا تقبل الظنّ، لا تقبل الاحتمالات، قال: فأصيب بالعُجب، والعياذ بالله جلّ في علاه، فأخرّه، فلِمَ لمْ يُخْبِرْهُ سيّدي حضرة الشيخ عبد الله قُدِّسَ سرّه أنَّه سيُصبِح مرشدًا؟ لأنَّه خاف عليه من هذا، وسبحان الله، صدق ظنّه في ذلك الإنسان، فأصابه العُجب ورجع كسالك لتوّه، والعياذ بالله عزَّ وجلّ، حتى ننتبه، كأنَّه الآن بايع المرشد، ولم يعمل ورده الأوّل بعد السلوك.

ومرّة كنّا صغارًا نلعب في الخارج، لا يوجد عندنا ملهيات كما اليوم، أنا أذكر أنَّ والدي رحمه الله تعالى، اشترى لي (لوري وشفل، مصنوعة من النايلون)، أذهب خلف البيت أحمّل ترابًا وأفرّغ، وكأنّي مقاول، وعشت ساعات، حتى أنَّ والدتي رحمها الله تعالى كانت تأتي، وتقول: تعال يا بُنيّ لقد قلقت عليك، الأشياء عندما تذكر إنّما تذكر للبيان، هذا الرجل لمّا أصيب بالعُجب رجع إلى المربّع الأوّل -إنْ صحّ التعبير-، فكان عندنا لعبة تسمّى -حيّة ودرج- وهي عبارة عن قطعة ورقية مرقمة ومخططة إلى مربعات، وفيها أرقام من (1 - 100)، وفيها حيّة ودرج، وفيها قطعة مكعبة الشكل، فيها أرقام من (1 - 6)، على كلّ وجه منها رقم من هذه الأرقام الستة، ترمي هذه القطعة فيخرج لك مثلا رقم (6) فتذهب إلى المربع الذي فيه رقم (6)، وفيه درج تصعد فيه إلى رقم (86)، ثمّ ترميها مرّة أخرى حينما يأتي دورك فيخرج لك الرقم (2) مثلا، لم تتجاوز رقمين وإذا بحيّة ترجعك للصفر، هذه الأفعى تمثل العُجب، فهذا بلعته الأفعى فأرجعته للصفر، بأُذُنِي سمعتُها من حضرة الشيخ عبد الله قُدِّسَ سرّه، النّفْسُ تحركت نعوذ بالله جلّ في علاه، وكأنَّهم ينظرون إلى الإرشاد أنَّه مكاسب مادية نفسية، أنْ يتباهى على النّاس بأنَّه صار مرشدًا، يقبّلون يده، ويسلكون عنده، ويأمر وينهى،

هكذا يفكّر، وهذا واقع، المفترض على المسلمين أنْ يتعاملوا مع المرشدين هكذا، ونسأل الله سبحانه أنْ يرزقنا الأدب والتوفيق والاحترام.

إذن: روحانية الإنسان، مهما كان هذا الإنسان لابُدَّ من التدرّج، وقال لي قُدِّسَ سرّه:-

وأحيانا يكون المسلم سالكًا وهو لا يعلم، -سبحان الله- استغربتُ جدًّا! كيف يكون سالكًا وهو لا يعلم؟ ألا يحتاج السلوك إلى طلب وجلسة؟ فلمّا رآني هكذا مندهشًا، قال: يا بني، ربّ العالمين جلّ جلاله في الشريعة جعل أحكامًا مقابلها أجورًا، أو عقوبات، العمل الصالح كما قال الله عزَّ شأنه:-

{مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [سورة الأنعام: 160]

فكلّ عمل له مقابل، وهنالك شيء اسمه فضل الله جلّ في علاه:-

{ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [سورة الجمعة: 4]

لماذا؟ حتّى تتربّى أيّها المسلم وتترقب فضل الله عزَّ وجلّ:-

{وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} [سورة النساء: 32]

ولا تقل عملتُ حسنة، يا ربّ أعطني عشر أمثالها، قل يا ربّ أسألك من فضلك، فهؤلاء الذين يرقيهم الله تعالى لمرتبة السالك، هؤلاء بقانون فضل الله عزَّ وجلّ:-

{ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [سورة الجمعة: 4]

قال قُدِّسَ سرّه:-

وغالبًا هؤلاء سيأتون ويوفّقون لطلب السلوك، فيكتمل هذا الإنسان من الناحيتين، من الناحية التكليفية، ومن ناحية فضل ربّ البرية جلَّ جلاله وعمَّ نواله، ونصلّي ونسلّم على خير البرية وآله وصحبه ذوي المراتب العلية.

إذن: سيّدنا جبريل عليه السلام، لم يقل له: أنا جبريل، كما جاء في الحديث الشريف:-

(فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

فأنت من خلال ما سمعت، انطلق في عقلك الواعي، وقلبك الحاضر، للتأمّل والتفكّر، ونشكر الله جلّ وعلا أنَّ أغلبكم سالكون وبعضكم مجازون، رضي الله تعالى عنكم أجمعين، كم ينبغي أنْ نشكره سبحانه أنَّه عندنا هكذا بيّنات ومحجّة بيضاء، وهل هناك بعد هذه المحجّة محجّة؟ وهل هناك فقه بعده هذا الفقه؟ أين نقرأ هذا في أيّ كتاب؟ من أيّ أستاذ نسمعه؟ من أيّ شيخ نسمعه؟ لولا أنَّ الله جلَّ جلاله وعمَّ نواله، رحمنا بالسادة المرشدين رضي الله عنهم وعنكم.

هذه الإضاءة واضحة جدًّا تمتَّعْنَا بها من حياة الحبيب صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين، لا زلنا في الكهف متشرفين بالحبيب المحبوب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أتقياء القلوب، هذا الضمّ سبق الكلام؛ لأنَّ المقام مقام روحانيات، أكثر من كونه مقام تعليم ومسائل، فلابُدَّ أنْ تُقدَّم المعالم الروحانية على المعالم العلمية، وحضارة الإسلام حضارة روحية علمية، والروحية مُقدَّمَة، فهذا الضمّ عمل روحي، فلابُدَّ أنْ يسبق العمل العلمي، العملُ الروحي يجب أنْ يسبق التدريس، فأين أنتم يا أمّة الحبيب عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، من هذا المعنى العظيم؟!

أغلب الكُتّاب، بل معظمهم، بل أستطيع أنْ أجزم أنّ أكثر من (95%) من

الباحثين ما ذكروا شيئًا عن هذا الضمّ بهذا المعنى، بمعنى أنَّه عمل روحي، الآن إذا أحدكم رضي الله تعالى عنكم، قام وضمّ أخاه إلى صدره، وبدون أيّ كلام، عن ماذا يعبّر هذا العمل؟ ألَا يعبِّر عن المحبة والاشتياق، والصدق في الإخوّة، والتآزر والتكاتف وكأنّهما جسم واحد؟ نعم والله يعبِّر، ثمّ إذا ضمّ أحدهم الآخر تراه يغمض عينيه فطرة -سبحان الله- وهذا جواب لمَنْ يقول:- لماذا تغمضون عيونكم؟ مرّة شخص من أهل الأحزاب، قال: أنتم لا تعرفون من الدنيا شيئًا، فقط تجلسون وتغمضون عيونكم، فهو ينتقد أنَّنا لا نعلم شيئًا من الدنيا، لا تعلمون اليمين من الشمال.

هذا التغميض إشارة إلى العُمْقِ الذي أكرمنا الله تبارك اسمه به في المعرفة، فأيّهما أولى، اسمع إلى قول المولى جلّ وعلا:-

{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [سورة الروم: 7].

فهذا الذي أغمض عينيه لا يعلم ظاهر الحياة فحسب، وإنّما يعلم الدنيا وما فيها، ويعلم الآخرة أيضًا، فعلمه عميق ومتبحِّر وممتلئ بالعلم بفضل الله عزّ وجلّ.

إذن: هذا الضمّ للحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، مَعْلَمٌ روحانيّ، يقول لنا الله سبحانه من خلاله، دائمًا العمل الروحيّ يسبق عمل الجوارح، فأنت تريد أنْ تصلّي، أوّل شيء ماذا تفعل؟ هل تسجد تركع؟ لا، تنوي، والنيّة عمل روحيّ، تريد أنْ تزكي، ماذا تفعل؟ هل تحسب أموالك؟ لا، أوّلا تُحضّر في قلبك النيّة، فالنيّة هي التي تدفعك، تريد أنْ تحج، وهكذا، فالنيّة عمل روحي، أروي لكم أيضاً عن سيّدي حضرة الشيخ قُدِّسَ سرّه الشريف في هذا المجال (مجال الضمّ) ربط بينه وبين قول الله عزَّ وجلّ عن سيّدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام:-

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا} [سورة البقرة: 260]

والإحياء يتعلّق بعمل روحي؛ لأنّ الموت تبدّل علاقة الروح بالجسد، والحياة تعلّق الروح بالجسد {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ}.

إذنْ الموضوع هنا عمل روحيّ:-

{قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ} [سورة البقرة: 260]

طبعًا على عُجالة أريدكم أنْ تدرّسوه دراسة مستفيضة بكلّ صدق، وأحذّركم من وسوسة النّفس والشيطان، أنْ يقول أحدكم: أنا أجلب هذه المعلومة قبل أخي فلان، وهكذا، لا، أحذّركم من هذا، وإنّما:-

{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [سورة المائدة: 2]

واجعلوا في قلوبكم نيّة مخلصة صادقة أنْ تقول: يا ربّ يأتي أخي الشيخ فلان، أفضل من الذي نأتي به، وأظهر العلم، وأظهر العمق على لسان أخي الشيخ فلان، وهكذا، من الآن فصاعدا لا أريد أيّ حزازية بين اثنين، ولا أُريد أيّ غش في قلب أحد منكم على أخيه المسلم، فضلاً عن عُضِده أخيه الشيخ الذي يعمل معه في المسجد، أو يعمل معه في مساجد المنطقة، أو في مساجد الكرة الأرضية، أين ما كانت لابُدَّ أنْ ننقِّي قلوبنا وإلّا (الدَّغَل والحَلْفَة) وهي حشائش بريَّة تضرّ بالزرع، تصعد وتغطِّي الزهور والورود، ونخسر خسرانًا مبينًا، والعياذ بالله سبحانه.

{قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [سورة البقرة: 260].

فقال قُدِّسَ سرّه، ورضي الله تعالى عنه، ونفعنا بأنفاسه وعلومه، وبأنفاس ذريته سيّدي حضرة الشيخ فائق قدّس الله تعالى سرّه العزيز، وسيّدي حضرة الشيخ محمد قدّس الله تعالى سرّه العزيز، ونور عيوننا الدكتور حسن، والسيّد عمر، والبنت الكريمة الجليلة سنا، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ونفعنا بهذه الذرية الطيّبة الجليلة وجعلنا تحت أقدامهم تواضعًا وإيمانًا؛ لأنَّ الله جلّ جلاله جعل هذه الأسرة منارًا لهذه الأمّة إنْ فَقِهَتْ وَنَهَلَتْ، فقال قُدِّسَ سرّه:- ماذا يعني {فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ}؟

بعض المفسرين رضي الله تعالى عنهم وعنكم يقولون: فضمّهنَّ إليك، وبعضهم يقولون: فاجمعهنّ إليك، وإلى آخره، قال: فضمّهنَّ إليك، لماذا ضمّهنَّ إليك؟ لماذا فصرهنّ إليك؟ يعني ضمّهنَّ إليك لحدّ الصرير، والصرير هو الصوت ينبعث بسبب القوّة الموجودة.

قال الحبيب صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين:-

(فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

هذا الضمّ الذي يعبّر عنه بالصرير؛ لأنَّ فيه نوعًا من الضغط الذي يولّد صوتًا، وأنا الآن في هذه الرياض اشتهيت أنْ آتي وأضمّكم إلى صدري وأشمّكم وأتبارك بكم، فسيّدنا إبراهيم عليه السلام أتى بهذه الطيور، وضمّهنّ إلى صدره الشريف، فلماذا؟ وما الحكمة؟ لأنَّ هذا الضمّ سيُولد علاقة روحية بينه وبينها، لماذا هذه العلاقة الروحية؟

وانظر هنا أيضا عمل روحي - الله أكبر-، ما أجلّك أيّها العمل الروحي، ما أقدسّك أيّها العمل الروحي، ما أعظم قدرك عند الله سبحانه أيّها العمل الروحي، لماذا هذه المناسبة بينه وبين الطيور؟ قال: لأنَّه سيجعل كلّ جزء على جبل كما أمره الله تبارك اسمه، وانظر إلى المجاهدة، وهذا الكلام لي وليس لسيّدي حضرة الشيخ عبد الله رضي الله تعالى عنه، لمّا يمسك الطيور، ويأتي بهنّ، ويعمل معهم هذا العمل الروحي، ومع هذا العمل الروحي سيقطعهنّ تقطيعًا؛ لأنّه مع وجود العاطفة والعمل الروحي لا يجوز التأخّر عن أمر الله تعالى؛ لأنَّ هذا التقطيع من أمر الله عزَّ وجلَّ، وبعدها سيرتقي إلى الجبال، وهذا جهد يبذله حتى يصل إلى طمأنينة القلب، القلب الذي لا يشكّ في قدرة الله جلّ وعلا، لكنَّه يريد أنْ يرى الكيفية، كيف يحييهم، وإلّا فهو مؤمن بذلك يقينًا جازمًا، هذا ما نعتقده، ولا يجوز لنا أنْ نعتقد غيره، أنَّ الله تعالى يحيي الموتى، وأنَّه سبحانه على كلّ شيء قدير، ويبقى النصّ عامًّا يعالج كثيرًا من الأمور.

فكثير من النّاس عن هذه الأعماق غافلون، بعض النفوس الضعيفة تفهم أنَّ قلب سيّدنا إبراهيم عليه السلام غير مطمئنّ نعوذ بالله تعالى، لكن تنزّلًا معهم؛ لأنَّك لمّا تحاور الخصم يجب أنْ تنزل معه إلى مستواه، وقل له: مع ذلك أوصله الله تعالى إلى الطمأنينة، لكنْ نحن نعتقد أنّ سيّدنا إبراهيم عليه السلام كان في زمانه هو القمّة في اليقين، القمّة في الطمأنينة، فإذنْ الطمأنينة للكيفية، كيف سوف يحييهنّ الله جلّ في علاه؟ إذنْ:-

{ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا}

اصعد إلى الجبال من حولك، فانظر إلى المجاهدة، فإذا كنت تريد إنْ تصل إلى الطمأنينة، فجاهد نفسك، إذا كنت تريد أنْ تصل إلى العلم التجريبي التطبيقي

فجاهد.

سيّدي حضرة الشيخ قُدِّس سرّهُ أكّد على أنَّ الضمّ عمل روحي لماذا؟ قال: حتى تصير هذه المناسبة، وبعد أنْ يحيي الله عزّ وجلّ هذه الطيور لا تطير كلّ واحدة إلى صنفها، أو وكرها، لا، وإنَّما يرجعْنَ إلى سيّدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لماذا؟ لوجود علاقة روحية؛ لأنّه المعروف أنَّ الطير إذا مات وأحياه الله جلّ وعلا أين يذهب؟ هل يأتي إليك وأنت الذي قطّعته؟ حتى وإنْ لم تقطعه لا يأتي إليك، بما وهبه الله عزّ شأنه من عقل غريزي أيضًا يدرك أنَّك مَنْ قطّعته، فمستحيل أنْ يأتي إليك، لكن لمّا يكون هنالك مناسبة روحية سيعود إليك هذا الطائر. انتهى كلام حضرة الشيخ قُدِّسَ سرّه، ورضي الله تعالى عنه.

فأنت أيّها المريد اسلك وابحث عن هذه المناسبة الروحية، فكيف تبيح لنفسك أنْ تقول: أنا أذكرُ الله سبحانه بدون رابطة؟! كما في القصّة التي ذكرتها سابقًا، كيف تبيح ذلك لنفسك؟ أين المناسبة الروحية لك مع المرشد؟ خادمكم الآن مرشد، ومع ذلك، واللهِ لا أجلس جلسة للعمل الروحي إلّا وافتتحها بالرابطة مع سيّدي حضرة الشيخ قدّس سرّه لحد الآن، هل أترك هذه المناسبة الروحية؟!

فلنفهم أيّها الأحبّة الكرام، فهذا الضمّ من سيّدنا جبريل عليه السلام تجسيد لهذا الأصل في الدين، أنَّ العمل الروحي مُقَدَّم على عمل الجوارح والعقل، وإنْ كان العقل طاقة روحية لكنَّ القلب مُقَدَّم، حتى نفهم أنَّ النّاس مساكين، كم فاتهم من الخير، وكم نحن مقصرون، واللهِ الآن لو أنَّ كلّ واحد منّا يقوم من مكانه ويركض بين القرى والأرياف ويدعوهم إلى هذا الخير، ممكن أنْ نقول عنه إنّه مجاهد، وداعٍ إلى الله عزّ جاره، ولكن أيضا هنالك تقصير؛ لأنَّ هذا الخير العظيم الذي يفوت النّاس، مَنْ يتحمّل مسؤوليته؟

بعد ذلك رجع الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم كما ذكرنا في المشورة السابقة، ولم يكلّم أحداً، كلّم أوّلًا السيّدة خديجة رضي الله سبحانه عنها وعنكم، واقترحت أنْ تذهب به إلى سيّدنا ورقة بن نوفل رضي الله تعالى عنه وعنكم، وماذا قال سيّدنا ورقة؟ هذه كلّها فيها معالم إخواني.

وصلّى الله تعالى على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم.